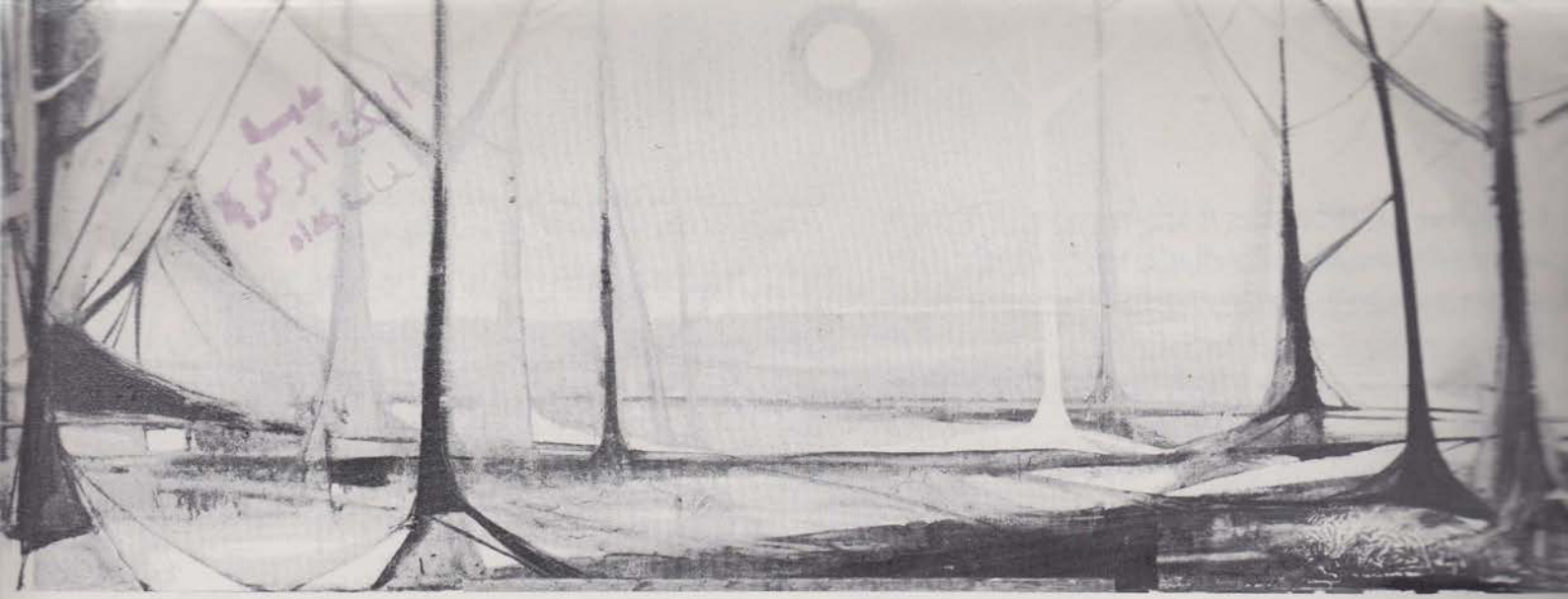


# فَن سَعَالِ الْعَطْمِ

جبرا ابراهيم جبرا







غابة البحر

كما حدث في التطور الفني السريع لدى سعاد العطار. رؤياها ان تبارحها منذ البداية. ان لديها ما لا بد لها من قوله . وما التجربة المتزايدة إلا الاوليات التي تيسر لها ادراك عالم سحري مطلق .

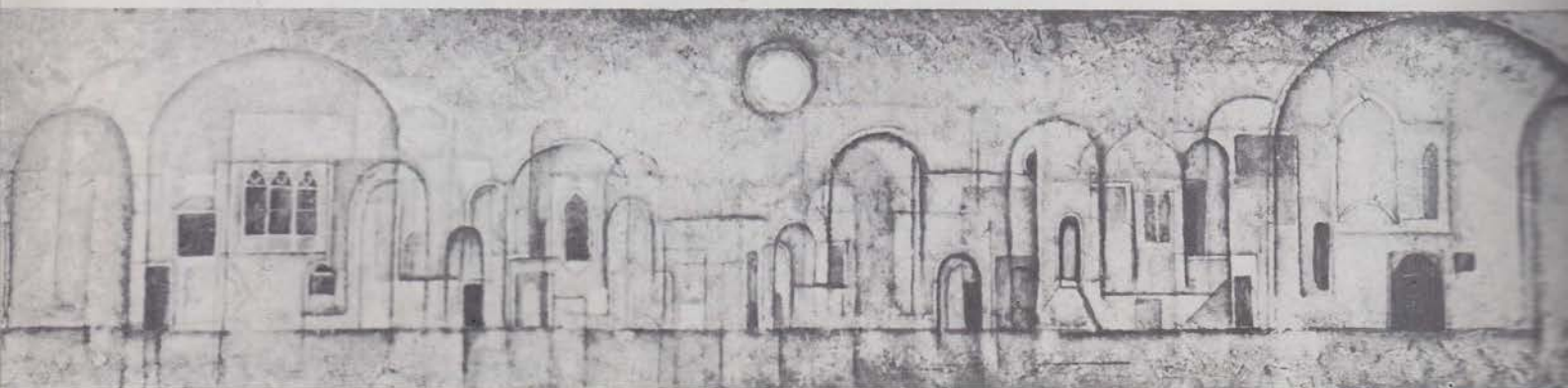
في فنها نجد تلك المحاولة التي يتصف بها عمل كل فنان يستحق التسمية : ان يقول ، ويعيد القول ، ويعيده مرة بعد مرة ، لأنه لا يقنع ، لا يكتفي به . نتاج الفنان هو مقارنته المتواصلة لما يتفجر من أعماق ذاته . انه جدليته المستمرة مع عطائه . كل قصيدة لاحقة لأي شاعر هي اعادة وتصفية وتوسيع لما اراد ان يقوله في القصائد السابقة . كل صورة جديدة لفنان هي اعادة ، وتصفية ، وتوسيع . الرؤيا لا تحيط بها الا المحاولة المتكررة ، مما يجعل أعمال الفنان جميعها في النهاية عملاً متصلاً واحداً .

هكذا يجب ان ننظر الى رسوم سعاد العطار، مع العلم أن ما أنجزته هذه الرسامة الشابة من عمل جاد حتى الآن يكاد لا يبلغ السنوات العشر عمراً، وضعت فيه لا مجرد المهارة في التقنية، لا مجرد ملاحظة الحياة وأشكالها، لا مجرد البؤس او الاحتجاج او الفرح. ذلك كله موجود في رسومها. ولكنها الى جانب ذلك جعلت من فنها عملية بحث ، وتوغل، واكتشاف على المستوى البصري والمستوى النفسي معاً. وهي ماتكاد تبلغ مرحلة ما، حتى تتطلع الى مرحلة تليها. وبتعاقب سريع. حتى الآن، لا أظننا نرى أية طفرات غير منطقية في خط سيرها. ولكن في رسمها دائماً توتراً بين الداخل وبين الخارج، بين الذات وبين الموضوع ، بين ما تريد قوله وبين الشكل الذي تريد القول فيه، وهذا التوتر يؤكد لعملها دفعه المستقبلي في مسارات يصعب التكهّن بها، مهما بدا نموها متصلاً ومتساقفاً.

**شهرت**  
سعاد العطار بمقدرتها في الرسم وهي مازالت طالبة في الثالثة عشرة من عمرها . وما كادت تتعدى العشرين بقليل حتى كان لها في المشهد الفني ببغداد ، قوي . والمشهد الفني ببغداد ، كما هو معروف، فسح ومزدهم بضيع فيه الكثيرون ممن يرسمون دون ان تتردد لهم أسماء في اذهان الناس. سعاد العطار استطاعت ان تثبت قدمها ، وتبرز وجهها ، في هذا الحضم المتراحم.

في الثالثة عشرة ترسم الفتاة مدفوعة بفيض من الموهبة التلقائية ، التي قد لا يبقى منها عند التضج شيء يذكر. المهم هو أن تستمر الى ما بعد التضج، وان تستمر بتصاعد وتكامل، وباتجاه متميز. وهذا ما فعلته سعاد . ثمة فاعلية نفسية تبدأ بالموهبة ، ثم تتقوى بالتجربة ، ولكنها لكي تصبح حقاً خلاقة، يجب ان تهضم التجربة، وتتجاوزها.

غابة المدينة





ومن يتبع اعمالها في السنوات القليلة الاخيرة يلاحظ بدايات هذا الشعب في طاقتهما  
التصيرية .

أما من حيث الاسلوب فان سعاد العطار تنتهج خطا ينبثق عن الاتجاه العراقي  
في ربع القرن الأخير : انه اتجاه يتوخى الدمج بين الوعي التراثي ( او الوعي الزماني  
ن شئت ) والوعي المكاني المعاصر : فسواء استخرت لذلك بعض الأشكال والرموز  
الفولكلورية ، كما فعلت في اواسط الستينات ، او الأشكال والرموز العباسية ، كما في  
لوحاتها منذ اواخر الستينات ، فان حسها بتناغم التخطيط الأساسي في الفن العربي

يفعم تشكيلاتها النهائية — ولكن لغاية غير متوقعة . في الكثير من رسوماتها المتأخرة  
يبدو ان منطلقها الاوّل هو هذه الجذور العربية البعيدة التي توحى بها للمشاهد ، دون  
أن تسقط في سلفية عقيمة . لأن السير بعد ذلك هو عبر كثافات أخرى ، كثافات  
تجربة اليوم . ومن هنا جاءت الفناة بتناغمات طرية ، يستطيع المشاهد ان يستشف  
خطوطها ، في بعض لوحاتها ، وهي تستقيم وتتعرج وتقفوس ، تصعد وتنحني وتتقاطع ،  
في «كاونتربوينت» موسيقي ، تختار له احياناً قماشة طويلة ضيقة تتيح لها التأكيد على  
ما يشبه البعد الزمني الموسيقي ، الكامن في حسها المكاني ، البصري .

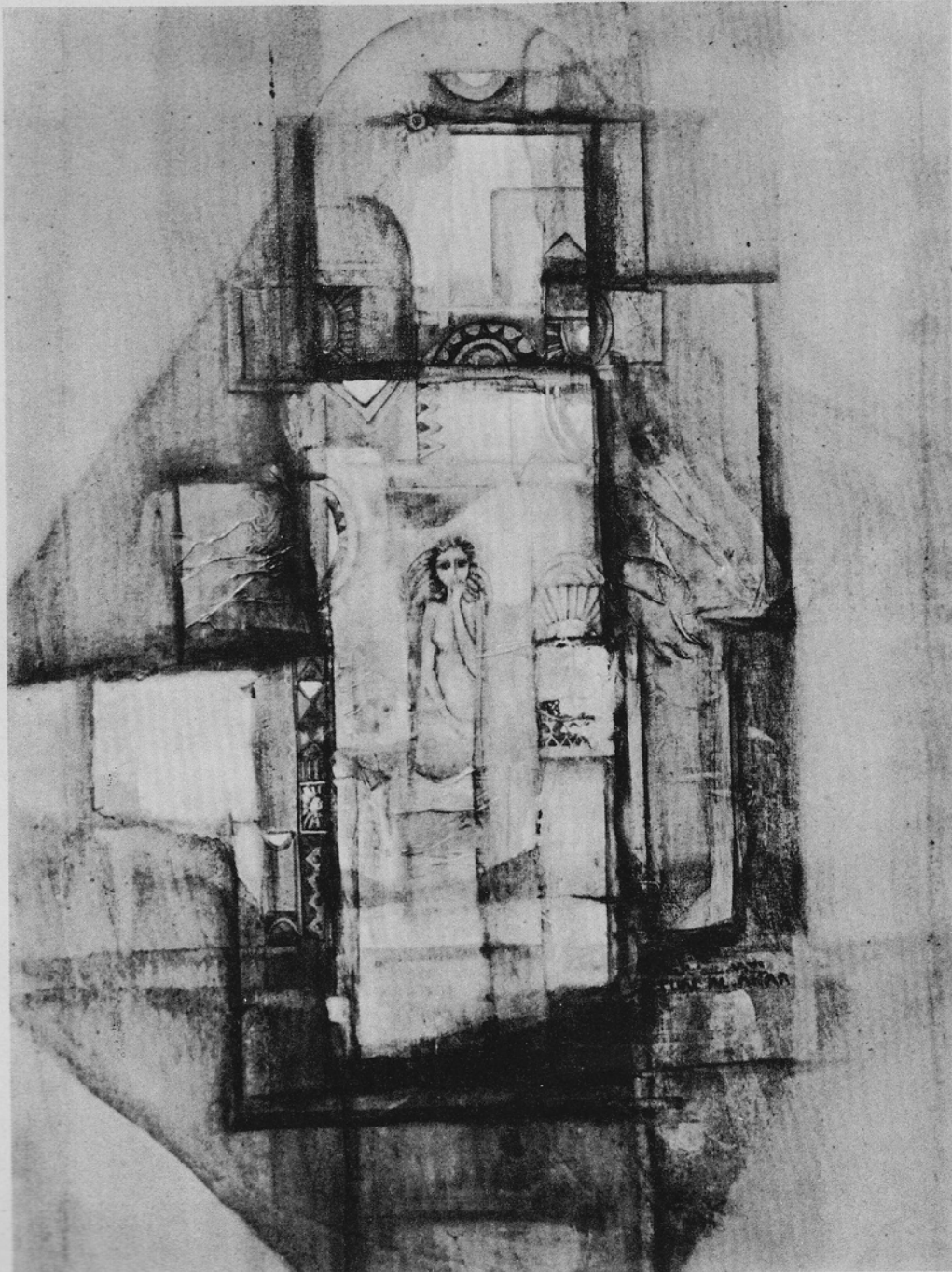
## مدينة الحلم





انها رؤيا فيها الكثير من شطحة الفنيزة ، وفيها الكثير من حرقة الواقع . حتى في صورها الشخصية للعديد من الفتيات ، تتمازج الفنيزة مع الواقع ، فتصبح هذه الصور اكثر من مجرد « بورتريئات » لأناس معينين . انها جميعاً اسقاطات لنفس الفنانة بما تشحن فيها من شخصيتها ، من انسانياتها واحاسيسها ، مما يسبغ عليها قيمة مطلقة تتخطى قيمتها « التصويرية » . وهذا الكلام نفسه يقال في صورها الذاتية التي يتبلور فيها هذا الشتات الداخلي المزدهم ( وهو من ينايع فنها ) ، على شكل تتوحد فيه الريح والارض ، التوق والحقيقة .

على هذا النحو استطاعت سعاد العطار أن تتخطى المؤثرات الاولى في فنها التي تصلها في صلب الحركة الفنية العربية اصلاً ، الى هدفها التعبيري ، الذي هو في النهاية قياس الحكم على نجاحها كرسامة لها أصالتها . كان بإمكانها ، كالعديد من الرسامين الآخرين ، ان تتلمس الطريق السهل عبر أساليب التجريد السائدة في العالم ، غير أنها زالت تبدي حذرها من ذلك . فلتن تكن الغنائية بالخط واللون مسعى من مساعيها ، بل شاعرية يبدو أن الفنانة تتمتع بها منذ الصغر ، فانها تريد اخضاع ذلك المسعى لله لتعبر عن رؤياها المتميزة ، وعلى طريقتها هي .



المرايا



I البستان

II البستان







تجارت المطاوع

لنراه رسوم سعاد العطار ، في السنوات الأخيرة ،  
تجد القسما في منطقتة من الحس لا نستطيع الجزم  
عنده اذا كانت الحقيقة موجودة او غير موجودة في  
الطرف الآخر من الحلم والفتنة .

حيث يفقد الخط وضوحه ، حيث احلام البراءة  
تتأرجح أحلام التجربة ، حيث الجنة والرغبة تتبادلان ،  
حيث الاشجار المثقلة بالعصافير قد تتحول الى اعمدة  
من ثمر : هذه هي بعض رسوماتها المتأخرة . حدائقها  
الضخمة سابقاً لمستها يد متمدة وحولتها الى جنان  
كيفية الأغصان والاوراق ، ونساء الامس المذنبات  
الى لوحاتها الباكزة) تحولن الى أطراف من صبا  
لا ماضي له : فتمه ما يوهنا بجنة كالجنة الأولى ، قبل  
أن يضع السيف اللاهب حداً لفرحة الانسان .

ورغم ان المظهر في صورها وثيق الصلة بصور  
السنوات الماضية — اذ ان بعض مميزات الاساسية  
في ترداد مستمر ، كالأطفال ، والعصافير ، والاقواس  
الشبابية — فان فيها تحولاً أساسياً نحو هذه النزعة  
«القرودسية» المحملة بالاضداد ، تأتينا عبر اسلوب  
يستمد الكثير من المنمنمات العربية العباسية (ولاسيما  
فيما يتعلق بتشكيل الاشجار والورود والطيور ذوات  
الوجوه النسائية ) ، واللوحات الناتجة الأشورية .

يخيل الي ان سعاد تحاول ان تعبر بالفتنة عن  
براعة الانسان الاولى ، وقد نازعتها شهوة الحياة على  
غير انتظار ، كتار تشب فجأة في غابة عذراء ، كما  
شبت في لوحها المسماة «الاشجار ذات مساء» . واذا  
قد اشخاصها حقيقةهم الجسدية ، في صورها الاخيرة ،  
وجدوها تثال عليهم في اتصال من التحرق ، واذا ما  
يقوا فيما يشبه الغيبوبة ، لم يتعين لدى الرسامة ان  
كانت الاستغابة ستكون على هذه الحقيقة ام على وضع  
حلمي جديد .

قد تجد في رسوم سعاد ان الزخرف الصريح  
يسرق من محاولتها شيئاً ثميناً من الجهد ، وينحرف  
بالعالم المتأمل نحو ما هو ثانوي . الكثيرون يؤخذون  
بيده الناحية الثانوية في فنها . غير ان الرسامة تصارع  
حتى هذه الزخرفة ، التي هي جزء من أزمته ، محاولة  
ان تحولها في الاتجاه الآخر ، حيث قد يتحول طائر  
الحقة الى امرأة ، وتتحول المرأة الى عشق ارضي .  
ولانس ان المرأة ، فيما سبق من صور سعاد ، كانت  
مرحة بالام لانجد الرسامة الأنضروزة لاستعادتها .  
ولما قد التحول سيقى مثيراً للسؤال لدى من يتبع  
خطا التلمي نحو المجهول - المجهول الذي سيكشف  
عن نفسه شيئاً فشيئاً في رسوماتها القادمة .

الهبة